البعد النقدي للشروح

أهمية هذا البعد :

برزت الحاجة إلى شرح الشّعر عامة والشعر خاصة بسبب الطبيعة اللغوية لهذا الشّعر، وذلك لأنّ الشّاعر حين يقوم بصياغة تجربته الشّعريّة ينحاز إلى البعد الثاني للّغة وهو البعد المجازي، أضف إلى ذلك أن خياله كثيرا ما يدفعه غلى التّصرف في لغته بطريقة لاتكون سهلة الفهم على السّامع أو القارئ، فيكون الشّرح من قبل أهله من النّقاد مطلبا لا بديل عنه و حاجة لا يمكن الاستغناء عنها ومن عهنا كانت الشروح لشعرنا القديم.

تطور شروح الشّعر القديم :

ترافقت شروح الشّعر العربي القديم مع روايته، حيث تكشف المصادر النّقديّة والأدبيّة أنّ الرّواة، وبخاصة في العصر الجاهلي، كثيرا ما كانوا يقفون أمام بعض الظواهر اللّغويّة لذلك الشّعر كالعبارات لا الألفاظ، لنّ الألفاظ معروفة معانيها لديهم، فيتناولونها بالشّرح، ثم تطورت تلك الشّروح ، فظهرت مصنفات تصدّت لتفسير الشّعر القديم عامة والمعلقات منه خاصّة.

ففي **العصر الجاهلي**، نلاحظ أوّل ما نلاحظه في قضية الشّروح، أنّه قد غلب عليها طابع الجزئية، بمعنى أنّها اهتمّت بتوضيح العبارات التي لا يعرف حقيقتها المعنوية إلاّ صاحب التجربة الشّعريّة أو راويها الذي كان ملازما للشّاعر وعارفا بالسّياقات المختلفة التي أحاطت بطرفي المعادلة الإبداعيّة، الشّعر والشّاعر.

من ذلك ما روى **البطليوسي** في معرض شرحه لبيت **امرئ القيس:**

نطعنهم سُلكى ومخلوجة كرك لأمين على نابل .

قائلا : **" وتحدّث الأصمعي عن أبي عمرو وقال : كنت أسأل منذ ثلاثين سنة عن هذا البيت فلم أجد أحدا يعلمه، حتى رأيت أعرابيا بالبادية، فسألته عنه ففسّره لي،وقال العجاج: حدثتني عمتي وكانت من بني دارم، قالت: سألت امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة ما معنى قولك(كرك لأمين) ؟ قال: (مررت بنابل وصاحبه يناوله الرسن لؤاما وظهارا فما رأيت أسرع منه"**

[1]، فهذه الرواية تشير إلى انّ الغموض الذي أثار السائلة، ليس له علاقة بالألفاظ المفردة و إنّما معنى العبارة " كرك لأمين" فجاء شرحها من قبل صحبها فاطمأنت.

وعلى هذا المنوال تصادفنا الكثير من الشّواهد في مصادر الأدب، والتي كانت تدور حول شرح معاني بعض العبارات الغامضة لأنّ لها علاقة بتجارب الشّاعر الخاصّة، فلا يعرفها إلاّ هو أو من له علاقة كالرّاوي لشعره مثلا.

وفي عصر صدر الإسلام، تتواصل الصبغة الجزئيّة لتلك الشّروح من ذلك ماروي عن زوج النبي- صلى الله عليه وسلم- سودة بن زمعة قد أنشدت في محضر عائشة وحفصة شعرا، ورد فيه هذا المقطع (عدي وتيم تبتغي من تحالف)، ففهمت عائشة وحفصة أن فيه تعريضا بهما، لأنّ عائشة تيمية وحفصة، فدخل عليهما النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن علم بالخبر فقال لهنّ:" يا ويلكنّ، ليس في عديكن وبلا تيمكن قيل هذا، إنّما قيل هذا في عدي تميم ويم تميم " [2]

فهذا الشّرح يكشف عن جانب مهم في الشّعر وهو المناسبة، التي تساعد على إزاحة الغموض عن الشّعر حين نتعرّف عليها.

وبعد صدر الإسلام، تطورت الشّروح وبخاصة في العصر العبّاسي، فتصدّت لتفسير القصائد الطّوال، ولم تكتف بشرح العبارات المبهمة في هذه القصيدة أو تلك.

ومن أقدم تلك الشّروح التي وصلتنا تلك النّسخة التي لم تمتدّ إليها عوادي الزّمن فتغيبها كما غيبت الكثير من المصنفات النّفيسة، وهي نسخة أبي سعيد الضّرير و أبي جابر، والتي تعود في أصلها إلى القرن الثالث الهجري.

[3]، ويتصدر هذه النسخة عنوان(كتب فيه شرح القصائد السبع، أبو سعيد و أبو جابر) وقد ترك الاسمان من دون تحديد للاسم الكامل، لكن في متن الكتاب نجد عبارة (قال أبو سعيد الضّرير)" [4]

وأما عن منهج أبي سعيد في نسخته هذه، والذي**" سار من تبعه على منهجه مع إضافة بعض المعلومات الأخرى البسيطة...هو أنّ أبا سعيد لايخرج على الخطّ العام للشّراح العرب من بعده في إثبات المعنى العام مع الإعراب واللّغة والأحداث التّاريخيّة، لكنّه يتميّز عن هؤلاء بأنّ هذا الشّارح، ولأنّه ينتمي إلى عصر أقدم من بقية الشّراح، تميّزت نسخته بنوع من التّوازن والاختصار في المعلومات وعدم الميل إلى الإسراف في بسط آراء الآخرين"[5]**

ولا يمثّل شرح أبي سعيد هذا الإنجاز الوحيد في القرن الثالث، بل ظهرت شروح أخرى هامّة، كشرح ابن السكيت(ت 244 هـ) للقصائد السّبع الجاهليّة،وشرح ابن النّحاس لديوان طرفة وديواني الأعشى وزهير، إلى جانب ديوان النّابغة " [6]

ومع بزوغ فجر **القرن الرّبع الهجري**، استوت **" الشّروح نشاطا متكاملا بعد أن توافرت صورة واضحة للشّعر الموثّق الذي يسره الرّواة والعلماء وصنّاع الدّواوين والمجموعات الشّعريّة، ورافقت هذا الشّعر عشرات بل مئات من الملاحظات من لغة ونحو و أخبار وخلافات في التأويل والتّفسير [7]"**

ومن أشهر شروح هذا القرن : [8]

- شرح ابن الأنباري (ت 328 هـ) الموسوم بـ(شرح القصائد السبع الطّوال الجاهليات).

- شرح أبي جعفر النّحاس(ت 338 هـ)

---

[1]- شرح ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،ط3، ص 149.

[2]- عبد الكريم الخطابي: إعجاز القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975، ص 04.

[3]- سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور، من سلسلة عالم المعرفة،الكويت، سبتمبر 2011، ص 45 .

[4]- سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور،ص 47.

[5]- - سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور،ص 51.

[6]- سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور،ص 58.

[7]- سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور،ص 59 .

[8]- سليمان الشطي: المعلقات وعيون العصور،ص 60.